

خلل .. النار

محمد حلمي الرينتنة

ها نحن نصلُ إلى نهاية البداية . . نتحسَّسُ أجسادنا من ثُقوب أو خُدوش أصابتها، دُونَ أَنْ نَلْحَظَهَا ونحن نُنتج . . فنَمسَحُ بتعب أيدينا، تَعَبُ عيوننا المتيقظة حذرًا، وشهوة إبداع . . ولا نَرْضَى، أبدأ الإبداع، أَنْ تُكسرَ أرواحنا، مَهْمَا قَدَفَ «جَارُنَا التَّقِيضُ» (القريب من العين غَضَبًا - البعيد عن القلب قَطْعًا) من سواكب ناره، شبه اليومية . . ثم ننتصر . .

ليس لأننا نشبهه له دائماً، بل لأن قدرتنا الأعلى، قدر أن لا نغيب من ساحات الحياة، حيث هنا مُتَّسِعٌ للحقيقة الإنسانية البريئة بياض كفن شهيد قبل أن يُشترق به، وللخيال البشري النظيف مُتَّجِعاً مُبدعاً، من وإلى إنسانها الإنسان، وهذا ما لا يستطيع «الجارُّ التَّقِيضُ» والأحول بإرداته أن يراهما . . وأنى له هذا وهو المدعي، زيفاً وبهتاناً، إنه أكبر من كل مَرايا العالم، بل ومن مرآته المتصدعة بعث يديه الأثمتين وشؤمه، و«نظافة» قلبه، إن كان له هذا، من كل ما هو إنساني أو يتنسب إليه ! .

من هذا وفيه، نعملُ خللَ النار في «بيت الشعر الفلسطيني»، بين فراغات الرصاص الذي أصبح ديك كل وقت . . تنقيه وشطايه وشواظه . . ولا نصرخُ أو نسأل: أين المفر؟ فلا مفر من المقاومة الدائمة بأشكالها المباحة والمتاحة . . أنى كنا، وكيف كنا . . لأجل أن نستمر في أن نكون، وما الإبداع الذي يتولد من بين أصابعنا، داخل «البيت» وخارجهُ، إلا بيانُ انتصارنا للحياة الحياة . . تلك التي نستحقها من بابها الإنساني، صعوداً إلى ما فيها من المعاني الجميلة، نحو الجمال وديمومته .

ومنذ ما سبق العدد الأول، ونحن نسعى، دُونَ كَلَلٍ، إلى منابع الروائع التي تنهضُ نمواً في حداثئ الإبداع . . ولا تقيسُ فرحتنا، فنحسدُ أنفسنا عليها، حين نصلُ أو يصلُ إلينا ونرى تجريباً وكتابات جديدة، نُقشُ شرافتها كانبلاج حياة الشهداء الجديدة، على ضوء شمس الحداثئ الكبيرة التي تتسع للصدق والنبل والأرواح القادمة . .

وفي أن، لا تأبه للذين يمدون أرجلهم (متقنين وأشباههم وغيرهم . . .) على شواطئ الدَمِ المتهم دائماً بـ«الإرهاب»، كمحاربين مهزومين قبل أن يُحاربوا . . فنقفزُ من فوقها، ونمسحُ شاشة التلفاز من الغبار الذي علق بها يوم 2001/9/11، ونستمر في العملِ خللَ النار . . لنستمر في عبورنا إلى ما نريد .